جزء الرابع
سنة الأولى

رجب ١٣٨٤
كانون الاول ١٩٦٤

# الأقلام

## مجلة فكرية عامة

تصدرها وزارة الثقافة والارشاد - بغداد

جامعة الموصل

# الأشعار الموثبات في الجاهلية

## نوري حمودي القيسي

الموثبات هى مجموعة القصائد التى قيلت لايغار الصدور بالحقد ، والهاب حمية القوم ، واثارة النفوس للمطالبة بالثأر ، واستفزاز الرجال لدفع الاهانة التى تلحق بهم وبقبائلهم ·

وبهذا المعنى تكون الموثبات أقرب الى الاثارة والتحريض ، أو هي هذه المعاني كلها ، ولا يمكن بحث الموثبات بمعزل عن الدواعي الاساسية لها ·

لقد كان المجتمع الجاهلي مجتمعا قبليا بحتا ، ولم تكن هناك سلطة مركزية تجمع بين مختلف القبائل التى تتمتع باللامركزية ، ولا انظمة ذات صلاحية تتحكم فى النزاعات الدائمة بين هذه القبائل ، الا تلك التقاليد التى تعارف عليها المجتمع ، والتى اصبحت شريعة مقدسة فى الحياة البدوية ، لان العرف القائم فى الصحراء ينص على ان الدم لا يغسله الا الدم ، فاذا قتل فرد أو ظلم أو اعتدي عليه فله الحق في انزال العقاب بالجاني جزاء عمله الذى اقترفته يداه ، ولان الدم المراق هو دم الجماعة كلها ·

ومن هنا كانت فكرة « ولي الدم » ، الفكرة التي تمنح الشخص هذا الحق ، للاخذ بالثأر ، فاذا فشل فيه ، اصبح من حق ابناء العم والاقارب الادنين وافراد القبيلة كلهم الاخذ بهذا الحق من أى فرد من افراد قبيلة القاتل ·

ان الانقسامات داخل القبيلة نفسها لم توءد الى ايجاد سلطة عليا ، ولا كانت حائلا دون وقوع حوادث الاخذ بالثأر حتى بين فروع القبيلة الواحدة ، والتي كانت أصلا متحدا ، ومن هنا كانت أهمية الأخذ بالثأر تأخذ شكلا بارزا فى تحديد العلاقات بين افراد القبائل ، لان الاخذ به دليل على الشجاعة والقوة ، والسكوت عنه دليل على الخضوع والذلة والاستكانة ، وباعث على الاستهانة بالفرد والقبيلة ، وعندها يصبح أو تصبح هدفا لغزوات أخرى ·

لقد لعبت المرأة دورا كبيرا فى استثارة همم الرجال للاخذ بالثأر ، والانتقام للقتلى ، وكان خروجهن يثير حمية العربي ، ويدفعه الى الاستبسال ، فكيف به وهو يسمعها تستصرخه وتحفزه ·

ان أشد شيء على العربي أن يرى نساءه وقد أصابهن الهوان والذل ، لان ذلك يلهب الرجل غضبا ، وكانت النساء تعرف هذه الحمية فيه ، وتدرك هذا الشعور ، فاستثمرته لاستفزازه عند اشتدادالخطوب ، تحفيزا الى الدفاع عن حماهن ، أو لادراك ثأر يلحق تركه ذلا وعارا ، وفي ذلك يقول المهلهل عندما خرجت نساء تغلب يوم مقتل كليب:(١)·

كنا نغار على العواتق أن ترى     بالامس ، خارجة عن الاوطان ·
فخرجن يوم ثوى كليب حسراً     مستيقنات بعده بهوان

وقد كانت قصائدها حافزا قويا من حوافز دفعهم لادراك هذه الحق المقدس ، وأكثر ما كانت النساء يستعملن في أقوالهن أقوالا جارحة ، وتهكما موءلما ، اذا كان دفع الاهانة اقوى وامضى ·

ومن هذه الموثبات التى انطلقت من افواه شواعر العرب ، كان اللهب الذى اشعل قلوب الرجال بالحمية ، ودفعهم الى الاستبسال والتضحية ·

وقد حاولت ان اجمع فى هذا البحث ما وجدته صالحا لهذا المفهوم ، وموافقا للخط الذي أردت أن أسلكه في هذا الجانب الأدبي ·

ولا يكاد يغرب عن اذهاننا ــ ونحن نتحدث عن هذا الجانب الحماسى ــ قصة ليلى العفيفة زوجة البراق الفارس المشهور(٢) الذى نزل ابوها فى ناحية من بلاد الفرس ومعه ابنته ، وكانت من اجمل نساء زمانها ، فأوصل خبرها الى ملك الفرس وقتئذ أحد حاشيته ، فقال له الملك : ماعسى أن نبلغ منها ، والبدوية تفضل الموت على أن يغشاها عجمي ، فقال : نرغبها بالمال ومحاسن الطعام والمشارب والملابس ·

وارسل الملك فأغتصبها من ابيها ، ثم عرض عليها جميع المشتهيات والمرغبات ، وخوفها بجميع العقوبات ، وعاملها بأقسى أنواع التعذيب ليرى وجهها ، ولكنها ابت ذلك وخيرته بين ان يقتلها او يعيدها الى ابيها ، ولما يئس منها أسكنها في موضع ، وأجرى عليها الرزق ·

وكان لليلى ابن عم من بنى بكر ، فارس شجاع ، يقال له البراق ، فأحتال حتى خلصها من مغتصبيها ، وأعادها الى ديار ربيعة ، فأثنى عليه اله جميلا ، وتزوج البراق بليلى ، وتولى رئاسة قومه زمانا ·

وقد نظمت ليلى هذه القصيدة ، تصف ما حصل لها ، وما جرى عليها ، وتستصرخ بالبراق وبأخوتها ، وتهدد بنى انمار واياد لانهم وافقوا العجم على سبيها ·

والقصيدة تعتبر من اشد شعر الموثبات تحريضا ، لما تطرقت اليه من المسائل التي تثير في نفس العربي الحقد والانتقام ، وتدفعه الى التضحية والاستبسال ·

ليت للبراق عينا فترى    ما ألاقى من بلاء وعنا
يا كليبا وعقيلا اخوتى    يا جنيدا اسعدوني بالبكا
عذبت اختكم يا ويلكم    بعذاب النكر صبحا ومسا
قيدونى غللونى وافعلوا    كل ما شئتم جميعا من بلا
يكذب الاعجم ما يقربني    ومعي بعض حشاشات الحيا
فانا كارهة بغيتكم    ومرير الموت عندي قد حلا
اتدلون علينا فارسا    يا بنى انمار يا أهل الخنا
قل لعدنان فديتم شمروا    لبنى الاعجام تشمير الوحى
واعقدوا الرايات فى اقطارها    واشهروا البيض وسيروا في الضحى
يا بنى تغلب سيروا وانصروا    وذروا الغفلة عنكم والكرى
واحذروا العار على اعقابكم    وعليكم ما بقيتم في الدنا

ولم تكد انباء هذه القصيدة تطرق اسماع الفرسان من قبيلتها ، حتى هبوا للدفاع عنها ، فأنتزعوها من غاصبها ، واعادوها الى حيهم معززة مكرمة ·

وهذه صفية بنت ثعلبة الشيبانية تخاطب قومها ، وتهددهم بأنها سوف تستجير بقبائل أخرى ، لتريهم العز عندها ، اذا ظلوا صابرين ، لا يدفعون عنهم اذى الخصم ، وفى هذا الكلام اشعار لقومها بالضعف ، واستدلال على الذلة ، وهذا ما يثير في العربي الغيرة ، ويدفعه الى الموت بلا مقدمات ، لأن الحياة لا تساوي لديه شيئا اذا لم يحافظ على هذه المثل الخلقية ، واذا لم يدفع عن نفسه وعن قبيلته هذه التهمة فتقول[٣] :

ماذا ترون بني بكر فقد نزلت    كبر الذوائب والاخرى على الاثر
أتصبرون لشعواء ململمة    فيها الاعاجم بالنشاب والوتر
ام لستم اهل صبر فى لوازمها    عند الحفائظ والجارات والخفر
انى اجرت بكم يا قوم فاصطبروا    فالصبر يحلل فوق الانجم الزهر
ايها اجيبوا بنى بكر حجيجتكم    ما عندكم ويحكم من غاية الخبر[٤]
يا أيها الشم أنتم حافظوا ذممي    وأنتم فلعمري الغر من عمري
أما صبرتم فلا ادعو لغيركم    وان جزعتم انادي كل ذي حضر

وقد أثار صدى هذه القصيدة في قومها الحمية ، فاستجابوا لطلبها ، واستعدوا للقاء جند كسرى ·

وعمرة بنت الحباب التغلبية ، كانت زوجة لبيد بن عنبسة الغسانى ، الوالي على ربيعة من قبل ملوك اليمن ، افتخرت يوما بكليب سيد وائل ، فلطمها لبيد ، فقالت له : انا اكرم منك ، وذهبت مغضبة الى كليب ، فقالت

ما كنت أحسب والحوادث جمة    انا عبيد الحى من غسان
حتى علتنى من لبيد لطمة    سجرت لها من حرها العينان
ان ترض تغلب وائل بفعالهم    تكن الاذلة عند كل رهان

فخرج كليب الى لبيد حتى صدع هامته بالسيف .

وهذه ام الاغر بنت ربيعة اخت كليب وائل ، ترثى غرثان اخ البراق ، وتحرض بنى بكر على الاخذ بثأره فتقول:(٦).

ألا فأبكي أعيني لا تملي    فلي بمصابنا أبدا عويل
فلا سلمت عشيرتنا وعادت    اذا ضرع ابن روحان النبيل
اذا رحتم وخلفتم هبلتم    لغرثان فلا راح القبيل
فرحتم بالغنائم حين رحتم    وبات بموته الغنم الجليل
تركتم ذا الحفاظ وذا السرايا    وراءكم اضلكم الدليل
فقل لنويرة وكليب مهلا    اقيما ان خزيكما طويل

واخبار البسوس بنت منقذ (خالة جساس) ، معروفة فى ايام العرب ، لارتباطها بالحرب التي اضيفت الى اسمها ، والتى دارت بين بكر وتغلب ، واستمرت اربعين سنة كما يذكر الرواة .

فقد جاءت ونزلت على ابن اختها جساس ، فكانت جارة لبني مرة ، ولها ناقة اسمها (سراب) خوارة(٧) ومعها فصيل لها. فلما خرج كليب غاضبا من قول زوجه جليلة ، رأى فصيل الناقة ، فرماه بقوسه فقتله .

وراحت الرعاة على جساس ، فأخبروه بالامر ، وولت الناقة ولها عجيج، حتى بركت بفناء البسوس ، فلما رأتها صاحت وا ذلاه ! فقال جساس : اسكتى ، فلك بناقتك ناقة اعظم منها ، فأبت ان ترضى حتى صاروا لها الى عشر ، فلما كان الليل ، انشأت تقول :ـ تخاطب سعدا اخا جساس وترفع صوتها تسمع جساسا ـ .

لعمرك لو اصبحت فى دار منقذ    لما ضيم سعد وهو جار لابياتى
ولكننى اصبحت فى دار غربة    متى يعد فيها الذئب يعد على شاتى
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل    فانك في قوم ـعن الجارـ أموات
ودونك اذوادي فاني عنهم    لراحلة لا يفقدوني بنياتي
اذا لم يقوموا لي بثاري ويصدقوا    طعانهم والضرب فى كل غارات
فلا آب ساعيهم ولا سد فقرهم    ولا زال فى آلدنيا لهم شر نكبات

فلما سمعها جساس قال لها : اسكتي لاتراعي ، اني سأقتل جملا أعظم من هذه الناقة ، سأقتل غلالا ( كان غلال فحل ابل كليب ، لم ير فى زمانه مثله) ، وانما اراد جساس بمقالته كليبا ، ووقعت الحرب بين الحيين .

وهند بنت حذيفة بن بدر الفزارية ، ترثى اخاها حصنا بن حذيفة ،وكان قد قتل يوم وقعة حاجر ، وتحرض قومها على الأخذ بثأره ، وتصمهم بالاماء الضعاف اذا توانوا عن الاخذ به فتقول(٨):

تطاول ليلي للهموم الحواضر    وشيب رأسي يوم وقعة حاجر
فلله عينا من رأى مثله فتى    تناوله بالرمح كرز بن عامر
فيا لبنى ذبيان بكوا عميدكم    بكل رقيق الحد أبيض باتر
فان انتم لم تصبحوا القوم غارة    يحدث عنها وارد بعد صادر
وترموا عقيلا بالتى ليس بعدها    بقاء فكونوا كالأماء العوائر(٩)

وكما فعلت هند ـ وهى تخاطب قومها ـ صنعت بنت حكيم بن عمرو العبديه ، وهي ترثي أباها ، وتحرض قومها على أخذ ثأره فتقول(١٠) :

أيرجو ربيع أن يؤوب وقد ثوى    حكيم وامسى شلوه بمطبق
فأن كنتم قوما كراما فعجلوا    له جرأة من بأسكم ذات مصدق
فان لم تنالوا نيلكم بسيوفكم    فكونوا نساء في الملاء المخلق
وقولوا ربيع ربكم فاسجدوا له    فما انتم الا كمعزى الحبلق

وكما لعبت المرأة الدور الرئيس في التحريض على الاخذ بالثأر ، فقد شاركها الرجل في ذلك في بعض الأحيان ، فبشامه بن عمرو بن الغدير يحرض قومه بني سهم بن مرة على ألا يخذلوا حلفاءهم الحرقة ، لان ذلك يلحق بهم العار ، ويدفعهم الى القتال ويقول ان الموت لابد ان يغتالكم ، فعلام القعود(١١)

وخبرت قومي ـ ولم ألقهم ـ    اجدوا على ذي شويس حلولا(١٢)
فاما هلكت ولم آتهم    فأبلغ اماثل سهم رسولا
بان قومكم خيروا خصلتين    كلتاهما جعلوها عدولا
خزي الحياة وحرب الصديق    وكل أذاه طعاما وبيلا
فان لم يكن غير احداهما    فسيروا الى الموت سيرا جميلا
ولا تقعدوا وبكم منة    كفى بالحوادث للمرء غولا(١٣)

وابيات المتلمس مشهورة لما فيها من اثارة واباء وفخر (١٤) :

ان الهوان حمار القوم يعرفه    والحر ينكره والرسلة الاجد(١٥)
كونوا كبكر كما قد كان اولكم    ولاتكونوا كعبدالقيس اذ قعدوا(١٦)
يعطون ما سئلوا والخط منزلهم    كما اكب على ذي بطنه الفهد(١٧)
ولن يقيم على خسف يسام به    الا الاذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته    وذا يشج فما يرثي له أحد(١٨)

وكما كان التحريض على أخذ الثأر يستدعي الاثارة ، فقد كان قبول الدية ــ ثمنا لدم القتيل ــ دافعا قويا من دوافع ايغار الصدور ، واستفزاز الرجال للامتناع عن أخذها ، لان قبولها يعني اسقاط حق الثأر ، وبالتالي فتور عوامل الاثارة ، وهذا ما كان يخشاه العربي في جاهليته ، وما تخشاه المرأة العربية في جاهليتها • لان في ذلك اذلالا ما بعده اذلال ، واهانة لا تساويها اهانة •

وقد انعكس صدى ذلك في مواقف شواعر العرب وشعرائهم من هذا الانحراف الواضح على تقاليد المجتمع الجاهلي ، والخروج على العرف السائد •

فأم قرفة زوجة حذيفة بن بدر الفزاري امرأة عزيزة الجانب ، يضرب بعزها المثل ، قتل قيس بن زهير ابنها قرفة ، ويقال انه أول من قتل في حرب داحس والغبراء ، وذلك ان اباه حذيفة ، كان قد ارسله الى قيس ليطلب سبق الغبراء ، فغضب قيس ، وتناول رمحه فطعنه ، فدق صلبه ، وقيل انه قطع يده وعلقها في عنان فرسه ، فرجعت الفرس عارية ، واليد معلقة في عنانها ، فاجتمع الناس ، وحمل ربيع بن زياد العبسي دية القتيل الى ابيه حذيفة ، فقبضها وسكن الناس ، فلما علمت أم قرفة بما صنع زوجها ، قالت ترثي ابنها ، وتعير حذيفة لقبوله الدية(١٩) :

حذيفة لا سلمت من الاعادي     ولا وقيت شر النائبات
أيقتل قرفة قيس فترضى     بانعام ونوق سارحات
أما تخشى اذا قال الاعادي     حذيفة قلبه قلب البنات
فخذ ثارا باطراف العوالي     وبالبيض الحداد المرهفات
والا خلني ابكي نهارى     وليلي بالدموع الجاريات
لعل منيتي تأتي سريعا     وترميني سهام الحادثات
فذاك أحب من بعل جبان     تكون حياته اردا الحياة

وقيل ان حذيفة لما سمع بهذه الابيات ، ثارت فيه الحمية ، فعاد الى محاربة بني عبس •

وقد ذكر ان عبدالله بن معد يكرب مر براع لحزم بن سلمة من بني مازن بن زبيد فاستسقاه لبنا ، فأبى فأعقل عليه ، فقتل عبدالله ، فثارت بنو مازن لعبدالله فقتلوه ، وجاءوا الى عمر بن معد يكرب فقالوا : ان أخاك قتله رجل منا سفيه ، ونحن يدك وعضدك ، أفنسألك الرحم الا أخذت الدية ما أحببت ؟ فغضبت اخته كبشة وقالت(٢٠) :

أرسل عبدالله اذ حان يومه     الى قومه لا تعقلوا لهم دمي(٢١)
ولا تأخذوا منهم افالا وأبكرا     وأترك في بيت بصعدة مظلم(٢٢)

ودع عنك عمـرا ان عمـرا مســالم     وهل بطن عمرو غير شـبر لمطعـم
فان أنتـــم لم تثأروا واتديتـــم     فمشوا باذان النعـــام المصلم(٢٣)
ولا تردوا الا فضـــول نســـائكم     اذا ارتحـلت اعقابهـــن من الـدم

على ان هذه القصائد لم تكن الوحيدة التي حملت هذه المعاني ، وانما هناك العشرات من القصائد الاخرى التي تحمل هذه الاغراض نفسها ، والتي كانت عاملا قويا من عوامل استمرار الحرب بين القبائل ·

---

(١) شعراء النصرانية ١/١٦٢ ·

(٢) تختلف الروايات في سرد هذه القصة ، ولكنها تتفق على المفهوم العام لها ·

(٣) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ١٦ ·

(٤) حجيجتكم : لقب الشاعرة صفية بنت ثعلبة ·

(٥) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ٣١ ·

(٦) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ٣٥ ·

(٧) رقيقة ، حسنة ·

(٨ بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ٤٦ ·

(٩) الاماء العوائر : النساء الضعاف ·

(١٠) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ١٠٤ ·

(١١) المفضل الضبي : المفضليات ج ١ ص ٥٧ ·

(١٢) ذو شويس : مكان ·

(١٣) المنة : القوة · الغول : ما غال الشيء فذهب به · يحرض قومه على القتال ، ويقول : لم تعطون الضيم ، والموت لابد ان يغتالكم ·

(١٤) لويس شيخو : شعراء النصرانية · الجزء الاول ص ٣٤٣ ·

(١٥) الرسلة : الناقة السهلة ·

(١٦) يحضهم في هذا البيت على عصيان عمرو بن هند وترك طاعته ، وضرب لهم بكر بن وائل مثلا ، اذ سامهم كليب خسفا فقتلوه وكان سيدهم ، ولا تكونوا كعبد القيس ، غزاهم عمرو بن هند فأصاب فيهم ، فلم يدفعوا عن أنفسهم وأموالهم ·

(١٧) الخط : منزل من ديار عبدالقيس بالبحرين ، ترفأ فيه السفن ، وقيل غير هذا ، ومنه قيل : الرماح الخطية · ذو بطنة : ما ألقاه من بطنه · والفهد : الضب، يقال انه اذا شتا أقام على حجره فلم يرم ، وأكل ذا بطنه حتى ينقضي الشتاء ·

(١٨) الرمة : القطعة من الحبل البالي ·

(١٩) لويس شيخو : رياض الادب في مراثي شواعر العرب · جـ ١ ص ٣٨ ·

(٢٠) المرزوقي : حماسة ابي تمام ج ١ ص ٢١٧ ·

(٢١) عقلت فلانا : اعطيت ديته ، وجعلت الابيات على لسان أخيها · ليكون ابلغ في الحض ·

(٢٢) الافال : جمع واحدة أفيل ، وهي صغار الابل ، والابكر : جمع البكر ، وهو الفتي منها ·

(٢٣) الصلم : قطع الاذن من اصلها ، واتديتم : قبلتم الدية ·

# المحتويات

صفحة

٣ اول تأميم في العراق . . . . . . . . . . ناجي معروف

١٢ خواطر حزينة في واقعنا الادبي . . . . . . . عبدالوهاب الامين

١٦ تشييد بغداد واثره في فن العمارة والعمران العربي . الدكتور سليم عادل عبدالحق

٣٤ المطولات او شعر الملاحم . . . . . . . . جمال الدين الآلوسي

٤٥ البلاغة العربية بين التجديد والتبديد . . . . . . الدكتور بدوي طبانة

٥١ من أغاني القافلة الضائعة ( شعر ) . . . . . . . . راضي صدوق

٥٢ الاساطير الموسيقية . . . . . . . . . الشيخ جلال الحنفي

٥٩ مات الجد العزيز ( تمثيلية ) . . . . . . نقلها للعربية مدحت الجادر

٧٦ فهمي المدرس . . . . . . . . . . . خيرى العمرى

٨٨ في معرض الرأي ـ تراثنا الموسيقى . . . . . . . . . . . . . . .

٩٦ نوى ( شعر ) . . . . . . . . . . . . نعمان ماهـر

٩٨ الآثار المخطوطة في النجف (٢) . . . . . . . . . علي الخاقاني

١٠٨ كتاب الشرفية في الموسيقي . . . . . . الدكتور حسين علي محفوظ

١١٢ الاشعار الموثبات في الجاهلية . . . . . . . نوري حمودي القيسي

١١٩ اغنية الى القمـر . . . . . . . . . . . . عدنان العوادي

١٢١ لقاء مع الفنان اسماعيل الشيخلي . . . . . . . . . . . . . . .

١٢٥ موسيقى الشعر . . . . . . . . . احمد نصيف الجنابي

١٣٣ الشيخ الباكي . . . . . . . عبدالوهاب محمد علي العدواني

١٣٥ مشاهدات تكسيرا . . . . . . . . . . . جعفر الخياط

١٥٠ النتاج الجديد ـ الاسلام والشعر . . . . . . . علي حسين الجبوري

١٥٩ آراء وتعقيبات . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

١٦٥ اضواء على السياسة العالمية . . . . . . . . . . . . . . .

١٦٨ انباء الفكر . . . . . . . . . . . . . . . . . . .